تركمان كركوك وهواجس عودة التهديدات من جديد

سلجوق باجالان

في تطور جديد للمشهد الأمني في كركوك، تم اغتيال أحمد طاهر أحد رؤساء دائرة الحماية السابقين في الجبهة التركمانية العراقية في 3 مارس/آذار 2023، بتفجير عبوة ناسفة استهدف سيارته التي كانت متوقفة في منزله بجهاز تحكم عن بعد. تحوّلت الأذهان بعد هذا الحادث مرة أخرى نحو مسألة أمن تركمان كركوك.

أقر العراق دستوره الحالي في عام 2005، وقد أشارت المادة 140 منه، أن هنالك مناطق في محافظات كركوك ونينوى وصلاح الدين وديالى تندرج ضمن توصيف المناطق (المتنازع على إدارتها) بين الحكومة العراقية وحكومة إقليم كردستان، جزء كبير من المناطق المشار إليها في المادة 140 هي في الأصل تسكنها أغلبية تركمانية. وبحسب ما ورد في المادة 140 من الدستور، كان لا بد من إعادة الأوضاع إلى طبيعتها وإجراء تعداد سكاني واستفتاء في تلك المناطق، وكان لا بد من تطبيق هذه المادة قبل نهاية عام 2007. ولكن، على الرغم من كل الجهود وسياسة الأمر الواقع لحكومة إقليم كردستان العراق، إلا أنه لم يتم تطبيق المادة نتيجة لاعتراضات دول المنطقة. ولعبت الأحزاب السياسية الكردية الفعالة مثل الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني دورا رئيسياً في تشكيل حكومة رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني. ونتيجة لضغوط هذه الأحزاب، تم إدراج المادة140 في برنامج حكومة السوداني، كما أن الأحزاب السياسية الكردية التي انسحبت من كركوك وغيرها من

المناطق المتنازع عليها جراء عملية إنفاذ القانون التي أطلقتها الحكومة المركزية في 16 أكتوبر/ تشرين الأول 2017, بتعليمات من رئيس الوزراء العراقي آنذاك حيدر العبادي, ثم تم السماح لتلك الأحزاب الكردية بمزاولة نشاطها مرة أخرى في تلك المناطق. ويشار إلى أن الفترة بين عامي 2003-2017 قد شهدت تعرض التركمان في كركوك وغيرها من المناطق المتنازع عليها ذات التركيبة العرقية المختلطة التي تقع تحت سيطرة حكومة إقليم كردستان, إلى جرائم قتل قيدت ضد مجهول وضغوطات نفسية وسياسات ترهيب واعتقالات دون قرارات قضائية. ولكن في الفترة التي استعادت فيها الحكومة المركزية سيطرتها على كركوك من 16 أكتوبر/ تشرين الأول 2017 - 2 مارس/ آذار 2023 لم تشهد هذه المدينة ظاهرة الاغتيالات السياسية, باستثناء هجمات تنظيم داعش الإرهابي ومقتل مسؤول الجبهة التركمانية العراقية في منطقة "الحي العسكري" في كركوك علاء الدين الصالحي في يناير/ كانون الثاني 2018. في تطور جديد للمشهد الأمني في كركوك, تم اغتيال أحمد طاهر أحد رؤساء دائرة الحماية السابقين في الجبهة التركمانية العراقية في 3 مارس/آذار 2023, بتفجير عبوة ناسفة استهدف سيارته التي كانت متوقفة في منزله بجهاز تحكم عن بعد, تحوّلت الأذهان بعد هذا الحادث مرة أخرى نحو مسألة أمن تركمان كركوك. ويمكن القول إن هنالك حالياً ضعفاً أمنياً في كركوك, حيث يبعد منزل أحمد طاهر قرابة 600 متر عن مركز شرطة القورية و500 متر عن مديرية جهاز الأمن الوطني في كركوك.

تداعيات اغتيال أحمد طاهر

أثارت عملية اغتيال أحمد طاهر ردود أفعال كبيرة بين التركمان، حيث أصدر رئيس الجبهة التركمانية العراقية حسن توران وعضو مجلس النواب عن الجبهة التركمانية العراقية أرشد الصالحي، بيانات إدانة واستنكار لما حدث. وصرّح توران أن طاهر أحد المسؤولين في الجبهة التركمانية العراقية تم استهدافه من قبل منظمة حزب العمال الكردستاني الإرهابية، وأنه وفق الاستخبارات العراقية كان هناك معلومات وردتهم بأن مقر ومنسوبي الجبهة التركمانية العراقية سيتعرضون إلى استهداف من هذه المنظمة. من جانبه، قال الصالحي في تصريح صحفي حول الموضوع، إن "المادة السابعة من الدستور العراقي تلزم الحكومة العراقية بعدم إيواء المنظمات الإرهابية التي تشكل خطرا على دول الجوار، داخل الأراضي العراقية. لقد التقيت مسؤولًا رفيع المستوى من

أجهزة الأمن العراقية قبل فترة وجيزة، وتم إبلاغنا بأن أفراد الجبهة التركمانية العراقية ومقرها الرئيسي سيتعرضون للهجوم من قبل منظمة حزب العمال الكردستاني".

يحمل الهجوم على منسوبي الجبهة التركمانية العراقية أكثر من رسالة. أحد هذه الرسائل، هي أن بعض الجهات السياسية في العراق تنظر إلى الجبهة التركمانية العراقية على أنها حزب قريب من تركيا. وبعد اغتيال طاهر كان هناك بعض الجهات العراقية التي وظفت تصريحات المتحدث باسم وزارة الخارجية التركية تانجو بيلغيتش للإساءة إلى الجبهة التركمانية. بالطبع لطالما تابعت تركيا عن كثب أمن وسلام تركمان العراق الذين يعدون أحد العناصر المؤسسة للعراق وتعتبرهم تركيا جسر صداقة مع العراق. ويمكن اعتبار محاولة تركيا حل المشاكل التي تواجه المجتمع التركماني الذي يعد مكونا مهماً في وحدة العراق، أمراً طبيعياً. لذلك، يمكن قراءة تصريحات بيلغيتش على أنها ضرورة أن يأخذ التركمان مكانهم الذي يستحقوه في النظام العراقي.

جدير بالذكر أن حزب العمال الكردستاني نفذ عمليات مماثلة ضد التركمان في محافظة السليمانية. حيث أن نجم الدين ولي عبد الله الموظف في رئاسة فرع الجبهة التركمانية العراقية في محافظة السليمانية التي تخضع لسيطرة حكومة إقليم كردستان، أصيب بجروح خطيرة نتيجة انفجار قنبلة مزروعة في سيارته المتوقفة أمام منزله في 3 سبتمبر/ أيلول 2022. وعند النظر إلى عمليتي الاستهداف اللتين نفذا ضد طاهر وولي اللذين يعملان في كوادر الجبهة التركمانية العراقية، سنرى أن هناك أوجه تشابه بينهما. ولو أخذنا بعين الاعتبار توقيت العمليتين ضد كوادر الجبهة التركمانية العراقية، فيمكن أن نستنتج أن حزب العمال الكردستاني الذي تعرض منسوبوه إلى خسائر كبيرة في الأرواح في العمليات العسكرية التي شنتها تركيا ضده في نطاق مكافحة الإرهاب في شمال العراق، يريد إرسال رسالة إلى تركيا من خلال هذه تنفيذ هجمات ضد التركمان.

وقد يكون الهجوم على أحمد طاهر يحمل رسالة أخرى وهي للمجتمع العربي الذي يعيش في كركوك. لأن العرب الذين يعيشون في المنطقة عارضوا قرار رئيس الوزراء العراقي بإعادة مقر الحزب الديمقراطي الكردستاني القديم في كركوك إلى الحزب مرة أخرى بعد أن كانت تستخدمه قيادة العمليات المشتركة هناك. وبهذا الهجوم ربما كان هناك هدف بإحداث اضطرابات بين المجتمعين العربي والكردي في كركوك من خلال إيصال رسالة مفادها أن أحداث الخطف والاغتيال ضد العرب التي كانت في كركوك قبل 16 أكتوبر/ تشرين الأول 2017، يمكن لها أن تعود من جديد.

هنالك فقرة في برنامج حكومة السوداني تسمح باستئناف أنشطة الأحزاب السياسية الكردية في محافظات كركوك وصلاح الدين ونينوى وديالى. وفي حال تطبيق هذه الفقرة الموجودة في برنامج الحكومة، ربما يتدهور الوضع الأمني والاستقرار في المناطق ذات التركيبة العرقية المختلطة.

فرضية التقارب التركماني-الكردي

من المعروف أن الأحزاب السياسية الكردية لاسيما الحزب الديمقراطي الكردستاني، أيضاً هي الأخرى منزعجة من وجود أنشطة لحزب العمال الكردستاني في إقليم كردستان، وحتى أن المنطقة تشهد من وقت لآخر اشتباكات مسلحة بين القوات المسلحة الكردية البيشمركة وحزب العمال الكردستاني.

يمكن قراءة الزيارتين اللتين أجراهما بافل طالباني رئيس الاتحاد الوطني الكردستاني أحد الأحزاب السياسية الكردية البارزة في 9 يناير/ كانون الثاني 2023, والنائب الأول لرئيس مجلس النواب العراقي والعضو البرلماني للحزب الديمقراطي الكردستاني عن محافظة كركوك شاخوان عبد الله في 15 فبراير/ شباط 2023 إلى رئيس الجبهة التركمانية العراقية حسن توران، على أنهما تقارب تركماني كردي وبداية لتطبيع العلاقات بين الجانبين. وانطلاقا من تصريحات السياسيين التركمان، ربما تكون المنظمة الإرهابية التي تقف وراء هذا الهجوم قد انزعجت من التقارب الكردي التركماني، ومن خلال هذا الهجوم ربما تريد زعزعة الأمن والسلام في كركوك، وإيصال رسالة لمنع الأحزاب السياسية الكردية من العودة لممارسة نشاطها في كركوك. بالإضافة إلى ذلك، يجب وضع احتمالية أن حزب العمال الكردستاني ربما شعر بالعزلة جراء تقارب التركمان مع الأحزاب السياسية الكردية لذلك قام باستهداف التركمان.

ولو أخذنا بعين الاعتبار العمليات التي نفذتها قوات الأمن التركية في شمال العراق في نطاق مكافحة الإرهاب، فربما أرادت المنظمة التي ضعفت مساحة تحركها ونشاطها جراء هذه العمليات أن ترد على تركيا من خلال جعل التركمان هدفا جديدا لها. يشار إلى أن مسؤولي الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي يعد الحزب البارز في إقليم كردستان العراق، صرحوا بأن لديهم علاقات جيدة مع تركيا. وانتقد الحزب الديمقراطي الكردستاني وجود حزب العمال الكردستاني في إقليم كردستان العراق وقيامه بتنفيذ هجمات ضد تركيا انطلاقا من الإقليم. ولو أخذنا بعين الاعتبار إقامة علاقات جيدة بين الحزب الديمقراطي الكردستاني والتركمان، فلن يكون من الخطأ وضع احتمالية أن تكون عملية الاغتيال ضد التركمان تهدف إلى قطع هذه العلاقات. وانطلاقا من تصريحات المسؤولين التركمان، فمن اللافت للانتباه عدم تدخل قوات الأمن في المناطق التي يقع فيها مقر التنظيم على طريق كركوك - السليمانية. ومن المعروف أن حزب العمال الكردستاني له مقار في مناطق طق طق وكوي سانجاق وقره عنجير التابعة لمحافظة كركوك. كما أن الهجوم على طاهر هو مؤشر على أن التنظيم يتحرك بشكل مريح في كركوك. ويمكن القول إن التركمان يدفعون ثمن دفاعهم عن وحدة العراق. وإذا لم تتخذ قوات الأمن العراقية التدابير اللازمة لحماية التركمان الذي يعتبرون العنصر المؤسس للعراق، فإن الغموض وعدم الاستقرار على الصعيد الأمني قد ينتظر كركوك التي تمثل صورة مصغرة عن العراق.أعلنت العناصر الأمنية للجبهة التركمانية العراقية القبض على مواطن سوري بالقرب من مبنى الرئاسة العامة للجبهة التركمانية العراقية في 9 مارس/ آذار. وأشارت إلى أن الشخص المقبوض عليه كان يسأل المارة عن مقر الجبهة التركمانية العراقية. ولو أخذنا بعين الاعتبار أن هذا الأمر قد يكون مرتبطا باغتيال أحمد طاهر، فربما يكون التنظيم قد أجرى تغييرا استراتيجيا من أجل تغيير اتجاه الضغوطات الممارسة عليه بعد الاغتيال، وإبعاد التهمة عن التنظيم. من ناحية أخرى، من الضروري عدم إهمال احتمالية أن يكون هذا الشخص السوري مرتبطا أيضا بوحدات حماية الشعب / حزب الاتحاد الديمقراطي / قوات سوريا الديمقراطية، وجميع هذه المنظمات هي الامتداد السوري لحزب العمال الكردستاني. جدير بالذكر أن حزب العمال الكردستاني يقوم بتجنيد عناصر من دول عديدة خارج العراق، لاسيما في سوريا.

لقي 13 شخصا مصرعهم في أعمال إرهابية واشتباكات وقعت بين العشائر في محافظة ديالى في الفترة بين 20 فبراير/ شباط و5 مارس/ آذار 2023. وعلى إثر هذه الأحداث أجرى رئيس الوزراء محمد شياع السوداني زيارة الى محافظة ديالى في 8 مارس/ آذار، خشية تدهور الأوضاع الأمنية في المحافظة. ولكن عدم صدور أي تصريحات من قبل السلطات العراقية بشأن اغتيال طاهر هو أمر مثير للانتباه بالنسبة لأمن التركمان. إن هذا العمل الإرهابي يستهدف سلامة وأمن التركمان الذين يعتبرون أحد المكونات الرئيسة الثلاث في العراق بحسب الدستور، كما أن هذا الاغتيال يستهدف في الوقت نفسه استقرار العراق. كما أن الهجمات المستمرة على كوادر الجبهة التركمانية العراقية التي تعد الممثل السياسي لتركمان العراق، هي مؤشر على عدم اتخاذ أي خطوات من أجل حماية التركمان. ومن المهم في هذه المرحلة، أن يقوم التركمان بحماية أرواحهم ومناطقهم، واتخاذ الخطوات اللازمة مع الإدارة المركزية والإقليمية في العراق، من أجل إنشاء قوة عسكرية خاصة بالتركمان. ويمكن للجبهة التركمانية العراقية أن تطلب من وحدات الأمن العراقية حماية أمن كوادرها ومقراتها.

من المقرر إجراء انتخابات محلية وتعداد عام للسكان في جميع أنحاء العراق. ويمكن أن تكون عملية اغتيال أحمد طاهر هي رسالة ترهيب للتركمان قبل الانتخات والتعداد السكاني. وفي هذه المرحلة، فإن التركمان يتعرضون للضغطوات من خلال استهداف الجبهة التركمانية العراقية التي تعتبر أكبر منظمة سياسية تركمانية. هذا الوضع قد يجعل كركوك وبالتالي يجعل العراق أكثر اضطرابا. ولهذا السبب، يمكن القول إن الحل القائم على التوافق المشترك في كركوك سيكون مفيدا بشكل كبير للتركمان وكركوك والعراق. ■

سلجوق باجالان: أكاديمي من العراق، حاصل على الدكتوراه في دراسات الهوية القومية من جامعة غازي في أنقرة، عضو الهيئة التدريسية بجامعة كركوك، خبير الدراسات التركمانية في مركز أورسام.